د. محمد الدمشاوى

أغنية الموت المقدسة

شعر

الطبعة الأولى يناير 2020

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	أغنية الموت المقدسة
المؤلف	د. محمد الدمشاوى
التصنيف	شعر
رقم الإيداع القانونى	
الترقيم الدولى	
رقم الإصدار الداخلى	595 الطبعة الأولى يناير 2020
عدد الصفحات	84 صفحة

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة: 58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35–01–572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف: 01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس: 020554372901

nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي: ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

إلى قرة العين

أبنائي الأعزاء

من الألف إلى الياء

أحمد ، إسراء ، غدير

فاطمة ، آية و مصطفى

وسَألتَنِي

وسَألتَني

عن كل شيءٍ فى الوجود سألتَنى

عن عمرى المفقود من بين السِنِى

عن ذلك الماضى الذى قد عشتُه

عن حاضر ضيعتُه وَهْماً

كما ضيعتَنِى !!

عن مأكلِى

عن مشربِى

عن مسكنِى

عن علبة التبغ التى أخفيتها يوما

وعن بعض القصائد ، كنت أكتُبُها

وتكتُبُنِى

عن كل شيء فى الوجود سألتَنى

وسألتُ عن شيءٍ وحيد لم تُجبْنى

يا حبيباً ضلّنِى

وتركتَنِى

بعد السؤالِ تركتَنِى

فى حيرتِى

فى غيرتِى

فى حلمى المقتولِ

من غدر الطريق المنحنِى

لِمَ لَمْ تجبْني بعد أَنْ حيرتَني

وشغلتَنى

ووعدتَنى يوما

وأخلفتُ المواعيدَ التى واعدتَنِى

أنا لا أزال على الوعود محافظا

لكنَّ وعدَكَ لى زَوَى

لمْ يأتِنِى

حتى خيالك قد زَوَى ..

لمْ يأتِنِى

وعرفت أنَّك كنتَ قدْ أوصيتُه ..

بالهجرِ عمدا كي يزيد تألمى

ويميتَنِى

لمَ لمْ تجبْنِى عن سؤالٍ كان فيه سكينتِي

وفيه مساكِنِي

*** * ***

تَذَكَّرْناه إِذْ رَحَلَ !

فى ذكرى رحيل أول جندى رفع العلم على أرض سيناء فى معركة أكتوبر المجيدة

تذكرناه إذ رحلَ !!

تذكرناه بعد تواتر الأخبار ...

أن الموت أبعده تماما عن مسامعنا

وأن الموت قد أخفاه عن دنيا مطامعنا

فلم يبقَ له طَلَبٌ

ولم يبقَ له رَغَبٌ

تضيقُ به رغائبنا

ويوقظ بينكم جـدلا !!

تذكرناه كى نقضى على ذكراه

بعض الوقت

يُذْهِبُ ذكرُه المَلَلا !!

وكنا نعرف الأحوالِ والأفعال قاطبة

فلم نعرض لصولته

ولم نعرض لجولته

ولم نذكر له قولا

ولم نذكر له عَمَـلا

صحيحٌ أنه رجل عظيم الشأن فى بلدى

رأيناه بقلب النار وهو يقاتل الأعداء

من بلدٍ إلى بلد

رأيناه على الشاشات ..

وهو يصارع الأجواء

يرفع فوقها (العَلَمَا)

ويزرع فوقها الأملا

تُصَوَّبُ نحوه النيرانُ

لا يعبأ بمن سَقطُوا

ولا يعبأ بمن رَحلُوا

ولا يرديه مَنْ خُذلَا

وكنا وقتها نلهو على البارات

مضجعين بالغرفات

تجمعنا أحاديث ومنفعة

ومأكلة ومشربة

فلم نعلم بمن ماتوا

ومن جرحوا

ولم نعلم بمن قُصِفُوا

ومن خُطِفُوا

ولم نعلم بمن وَصَـلَا

فلم نعلم.. أمات الفارسُ المغوارُ

أم قد غافل الأجَـلا ؟!

وبعد تواتر الأخبار أدركنا الذى حَصَلَا

فقد عـادت لنا الأفراحُ والبلدُ

وقد حفظت لنا الأعراضُ والولدُ

فهللنا وكبرنا

وأرسلنا لها القُبَـلا

وأدركنا سعادتنا

ولم نسأل:

ومن فَعَـلَا ؟!

تركناه يصارع بعدها الأحزان والخَذْلا

تركناه دموعا فى محاجرها

ولم نسمع له قَـوْلا

وها قد مات فى صمتٍ

كذاك الصمت حين عَلا

فمن بالله سوف يسير سيرتـه

لنضرب عنده المَثــلا ؟!!

❋ ❋ ❋

المدينة الحزينة

ويَختفى النـهارْ

وتُعلن المدينـةُ الحزينـةُ الحدادَ من جديدْ

فطفلُها المنكوبُ ما يزال فى غياهب الغِيابْ

وصاحب العطارة ، الذى يَؤمّها ...

قد فارق الحياة

والمرأة المسكينـة التـى ...

تكابد المرارَ فى حياتـها

تَعيش فى أرقْ

فبيتُها احترقْ

وطفلها الوحيدُ قد أصابه الغرقْ

وما يزال حفنة من اللصوص يعبثون..يعبثون

ويكتبون بعد كل هجمة رسالة مفادُها :

سنقتلُ المزيدَ والمزيدْ

ونَسْرقُ المزيدْ

ونَحَرقُ الأسيادَ والعبيدَ

فقَلْبُـنا كالصخر .. كالجدارِ .. كالحديدْ

وفكـرُنا عنيدْ

وكل ليلة تمرُّ فى بلادكم ستحمل الجديدَ والجديدْ

وليحذر الشعراء من غواية القصيدْ

ومن يخطّ جملة صغيرة

يَودُّ من خلالها الظهورْ

أو يدعى بأنها تميمةٌ

ونعمةٌ عظيمةٌ

أو يدعى بطولةً مخذولةَ الرَّجَا

فسوف نبتليه ألفَ مرةٍ ومرةٍ ..

بأعظمِ الشرورْ

(2)

الحزنُ ما يزالُ فى مدينتى يخالطُ البشرْ

ويرسم الأشكالَ والألوانَ والصُّورْ

يزورهمْ باللّيلِ والنـهارْ

تراه فى الشتاء والمصيفْ

تراه فى عيونـهم

ويصحب الجميع عند صحُوهِمْ ونومـهمْ

يسير حيث هُمْ

ويقتفى الأثرْ

(3)

لم يحتمل بعض المساكين المرارة

أراد أن يطاردَ اللصوصَ فى بيوتهم

ويهدمَ المغارة

أراد أن يُصارعِ السكوتْ

أراد أن يكون أو يموتْ

لكنَّهُ هُزِمْ

وضمه الموات ضمتين حيث هُمْ

أعادت المدينة الحدادْ

وأرخَتْ الراياتِ فى كهوفها المحرّقة

وأرْخَت السوادْ

كفاك افتخارا !!

كفاك صديقى

فإنَّ الطريق الذى تنتحيه

طريقٌ خَرِبْ

وإنَّ الصديق الذى تصطفيه

صديق الكُرَبْ

وإنَّ الكتابَ الذى ترتضيه

وتنفق مالا لكى تشتريه

وتُهدر عمرا طويلا لتنظر فيه

كتاب الجَدَبْ

فهذا الكتاب الذى فى يديك

كتابٌ عقيمْ

وفكرٌ سقيمْ

وردٌ تَلطَّخَ بالسمِّ

أُنْبِتَ فى الرَّوْثِ عام الظلامْ

ومستنقع للفِكَرْ

فهل فى كتابك شيء من العلم

كى يُعتبرْ ؟!

وهل فيه ما قد يريح الفؤاد الذى يستعِرْ ؟

وهل فيه شيء يطبّبُ روحِ العليل

الذى حار فى الكون حتى غَبَرْ ؟

أتعبد ندّك فى الكون

حتى وإن كان ندك هذا زعيما حكيما

خبيرا بعلم البشر ؟!

أتهمل قول الإله العظيم لقول البشرْ ؟

وتؤمن أن الخليقة قد أوجدت نفسها بالبَطَرْ!

أتعبد هذا الضعيف الذى إن أتاه قليل من الداء

يعجز عن كل شيء

ويفقد كل الأثرْ ؟!

أذاك من الذنب قد يغتفرْ ؟!

أعقل صغير محاط بعجز الوصول

يكون دليلك عند الترحّل فى مجريات المحال ؟

أيكفيك هذا لتعرف منه الإجابة ...

عن كل ما يشتهيه السؤال ؟

أتخدع فى قولة الظالمين ؟!

وأنت الذى كنت من قبل ترسل نور الحضارة

للعالمين

وأنت الذى قد حباك الإله بنعمة نور وعقل ودين

وقول مبين

وفُضِّلت عن مثل هذى البرايا

بقول رسول أمين

كفاك افتخارا بما ليس لك

كفاك انتسابا لمن لست منه

ومن ليس منكْ

كفاك صديقى

تخوض المعارك من أجل وَهْمٍ

ومن أجل طاغية أثكلكْ

* * *

أنا الشاعر

أنا الشاعر

أنا حزن بلا أخر

أنا المهموم بالإنسان والأوطان

بالدنيا وبالأخرى

من الآخِرْ...

أنا الشاعِرْ

*** * ***

مداد قصائدى دمعى

وأوجاعى هى الخاطرْ

ولون قصائدى بدمى

وسحر قصائى ألمى

وآهاتى هى الساحرْ

*** * ***

أنا من يُسحر الكلمات كى تبكى

وكى تضحك

وكى ترضى

وكى تسخرْ

وكى تضفى على الصّبار طعم الشهد والسّكرْ

أنا من قوله حِكمٌ

لكل الناس لا تُنكرْ

وحين أواجه الأعداء

لا أخشى من الفاجرْ

فافخر أنني الشاعرْ

وأن قصيدتى سيفى

وقولى قاطع باترْ

وان بلادى الأولى

وأن عدونا آخرْ

وربى الواحد القاهر

من الآخِرْ...

أنا الشاعِرْ

*** * ***

أنا يا سيدى الإنسان

قولى دائما مَغْنَمْ

أرافقكم إلى الأفراح والأتراح لا أسأم

فأحزن عندما تألم

وأسعد عندما تغنم

أنا ـ من بعد فضل الله ـ من فى الخير لا يندَمْ

* * *

أنا يا قومي الأبرار لست أبيع أقوالي

أنا لا أمدح الزعماء كى تزداد أموالى

ولكنى أقول الشعر للأحرار

لست مبدلا حالى

* * *

أنا مَنْ شعره الموزون يُسعدُ صاحبَ الشكوَى

وأمسح دمعة المظلوم كي يرضى

ويلمس عنده السلوَى

ويُعجِبُ من دهاه الدهرُ حين تزوره البلوَى

إلى أن تذهبَ البلوَى

فتعجبه أفانينى وأقوالي وأمثالي

تقول بأن ذا الأموال موتورٌ بأثقال

وأن الفقر لهو غنًى

إذا أفضى لأفعال

ويعجب شعرى الملحون يوما بائعَ الحلوَى

وحين يصيح فى الأطفال مأخوذا من النشوة

فيطربهم بقافيتى

ويرقد خالى البالِ

* * *

ويخشى الظالمون فمى

وأِوراقى وأشعارى

فيقطر سيفهم بدمى

ليطفئ جذوة النارِ

ولكنى أخادعهم

وأرسل قولى الموزون حيث ترى مضاجعُهم

يؤرق نومَهم فَنِّى

وأُرهقهم بأفكارِى

أقول الحق لا أخشى سوى الرحمن

فى سرى

وفى الظاهر

من الآخِرْ...

أنا الشاعِرْ

*** * ***

وقد تجدون محتالا ، ويزعم أنه شاعر

وقد تجدون طبالا وزمّارا وأفاكا

وقد تجدون مداحا وقداحا

وقد تجدون سفّاحا وفضّاحا

عديم الذوق والخاطر

له طبع ويُخفيه ،

يخالف طبعه الظاهِرْ

يبيع الأهلَ والخلانَ فى الماضى وفى الحاضِرْ

يبيعِ القول كالتاجِرْ

ويزعم أنه الشاعِرْ

وهذا ليس من جنسى ولا لونى

ولا من عالمى الطاهِرْ

هموا من باع كل ضمائر الأوزان أبكارا

هموا من بدّل الأشعار أثمانا وأسعارا

هموا من قتّل الأفكار

من قد ضيع الأسرار

من قد أطفأ الأنوار

فى ميداننا العامِرْ

* * *

أنا مرآة أوطانى ؛

فأفراحى وأتراحى وأحلامى لأوطانى

أنا ظل لأحبابى وأصحابى وإخوانى

تَراهم عند قافيتى

تراهم بين ألحانى

نشيد صادق آسر

*   *   *

أنا فى الحقِ سلطانٌ

يقول الحقَ لا يخضعْ

أنا أبدا لغير الله لا أخشى، ولا أركعْ

وحين تدور معركتى مع الأعداء لا أرجِعْ

وغير الحب لن تجدوا لكل قصائدى مطمَعْ

من الآخِرْ...

أنا الشاعِرْ

❋ ❋ ❋

وما زلتَ تحاول !

مثل كل الناس كانت عَبَراتي الحزينةْ

تأكلُ الخدين حرقتُها

وتُغرقني بسيلٍ من مجاريها السخينةْ

حين ألقت طفلها المسكينة الثكلى لترب الأرض

كى تُواريهِ

وتصرخُ فى وجوهِ الناسِ :

أين الناسْ ؟

أين العدلُ فى هذى المدينةْ ؟

ألجمت عبراتُها الحَرّى فَمِي

وأخرسَتْ اللسان

وأذهبت عنى بلا عَوْد سرابيلَ السكينةْ

* * *

مثل كل الناسِ كانتْ عَبَراتى الحزينةْ

ترقبُ الأمَّ

وتَتْبَعُ حزنَها الأبديّ

فى جوفِ المقابرْ

طفلُها المنكوبُ فى يدها

وفى الأخرى دماءٌ منه

تَأْبى أنْ تُغادرْ

كنتُ أرقُبُها بحزني ودموعي

فتقتلني صراخاتُ الحناجرْ

كنتُ أرقيها بقلبي

وبقلبي ألفُ قلبٍ ولسانٍ راح يلعنُ كلَّ فاجرْ

كنتُ أصرخُ ملءَ قلبي ودموعي

وانكساراتٍ لآلاف المصائبِ والغوائلْ

هل هنا ما يستحق القتل عمدا ؟!

هل هنا ما يعتلى حزن الثكالى والأراملْ

أىّ هذا القاتلُ الملعونُ وَيْحكْ ..

من صخورِ قلبك القاسي ..

ومن حجرٍ ..

ومن لهبِ القنابلْ ؟!

أىّ هذا القاتل المأجورُ ويحكْ ..

ماتَ كلُّ الناس فى مدينتنا

وما زلت تحاول ؟!

*   *   *

وقد يسألونكِ

وقد يسألونكِ يوما لماذا ...

يضلّ الطريق عن الأمنيات ؟

وتمضى الأمانى بقلب الحيارى

إلى أنْ تَمرَّ سنو الحياةْ

فقولى هُوَ العمرُ

يَمضى سريعا

بسَهوٍ، ولَهوٍ

وَمَاضٍ ، وآتْ

وحُزنٍ وفَرحٍ

وقُربٍ وهَجرٍ

وصُبحٍ وفَجرٍ

وليلٍ سُباتْ

فلا ندرك العمرَ حتى يزولَ

ويأتى بُعَيْدَ الحياةِ المماتْ

حياةٌ تَمرّ

وعمرٌ يَكرّ

ولا شيء يبقى سوى الذكرياتْ

أيا منية القلب

مُذْ كانَ قلبى

أليست سرابٌ حياة المواتْ

* * *

وعَادَ المساءْ

وعَادَ المساءْ

وعادتْ إلينا ظنونُ المساءْ

وعُدتُ لأبحثَ عن ثُقبِ ضَوْءٍ ..

ينيرُ الطَّريقْ

الظَّلامُ الذى أرهَقَ السَّائرينَ ..

يَسدُّ الطريقَ على السائرينْ

والقلوبُ التى أزّهَقَ العِشقُ فيها حَنينَ الرَّجاءْ ..

طَوَاها الزَّمانْ

والمدينةُ أَضْحَتْ تَنُوءُ بِحملِ الخَطَايَا

وصوتِ المَنَايَا

وبُعدِ الأَمانْ

وأَنْتَ هُناك على الشاطئ المَرْمَرِيِّ الحَزينْ

تصارعُ فينا ظلامَ السِّنينْ

تُفَتِّشُ فى مُسْتَكِنِّ الحكاية

تَبحثُ فى العالمِ السرمديِّ

عن الفَجرِ ...

والفَجْرُ حُلمٌ بعيدْ

* * *

كلامٌ فى السياسة

كلنا صرنا بُعيد الثورة الغراءِ ...

نفهم فى السياسة

كلنا صِرنا نجيدُ القولَ فى التحكيمِ

والتقييمِ

والتعتيمِ

والتهويمِ

كلنا صرنا ـ بحمد الله ـ حكاما وسَاسَةَ

هذه المرأة تبدى خوفها الأزلي من روسيا وأمريكا

ومن بعض البلاد المستبدَّة

والبلادِ المستباحةِ خلف أسوارِ النِّخاسَة

أهملت أطفالها الباكين كى تبدى اعتراضا

حول دور المرأة المحتومِ ...

والمحسومِ قانونا بمجلسنا الموقرِ

فى حماسة !!

والتى من بعدها صارتْ تعلِّم زوجَها..

أمرَ الكياسة

ربما يأتى عليه اليوم قد أضحى وزيرا

أو... أميرا

أو له دور مهمٌ بين أفراد الحراسة

بائع الجرجير مشغول بسعر العملة الكبرى

وأحوال الرئاسة

يكتب الأسعار بالدينار والدولار

بعد حسابها فى المصرف العربىّ والدولىّ

يمليها على الجزارِ والنجارِ والسمسارِ

يخفيها عن الباقين

مُدعيا فَراسة

والتلاميذُ الألي لا يفرغون من الحديث

عن الحديث من الهواتفِ

حيث إن الغرب ينتج ما نريد

وأننا شبه العبيد ...

وصار كل حديثهم لهوا ومضيعة

وأُهمِلت الدراسة

غير أن الشيخ قد أبدى امتعاضا من حديث القوم دوما

ومشى يعدل العمة فوق راسَه

قائلا: تبت أياديكم وأيدى أهلكم

إنه الشيطان قد أغراكُمْ بالفحش والتلفيقِ

والكذبِ المنمَّق والتعاسة

استعذت الواحد القيوم من قولٍ عديم النفعِ..

لا يجدى

وأفعالِ النجاسة

❋ ❋ ❋

وتنتهى المحاورة

وتنتهى المُحَاورة

ويرحلُ الجميع للضجيجْ

للشوارعِ المكدَّسة

بلُجّة المزارْ

مِنْ أجلِ بحثٍ دائبٍ..

عن لُقمةٍ مَهينةٍ

عن غرفة السَّكينة المُغَلَّقة

عن كُسوَةِ الصِّغارْ

وبعضُهم يضلّ فى الطريق للحاراتِ والبارات

عِندَ حافة النَّـهارْ

يعيشُ للمُغامرة

ولُعبة المُقامرة

وأكلِ لَحْمِ الميتةِ الكريهِ فى مطاعمِ العفنْ

ويختفى هناك كالمواتْ

كالكَفَنْ

كأن فى الحكاية.. الجِدالُ للجَدلْ

والكلامُ للكلامْ

وكلُّ ما يكونُ من حديثِنا .. حُطامْ

فأينَ ذاك الفارسُ الهُمامْ ...

فى معاركِ الكلامْ ؟!

وأين صَوتُ المستفيضِ فى بلاغة الكلامْ ؟!

وأين ذاكَ المستبدُ بالحسامِ فوق صهوةِ الكلامْ

وأين ذاك المُدَّعِى لصحةِ الكلامْ ..

يُحوِّرُ الكلامَ للكلامْ

ويَحْرِفُ الكلامَ عن طبيعةِ الكلامْ

وأينَ... أينَ ... أينَ ... أينَ ...

يا صديقتى ...

فكله كلامْ !!

كالطيفْ

كالخيالْ

كالمنامْ

يضيعُ عند أولِ الطريقِ بين ضَجَّة الزّحامْ

يموتُ بعد جلسة المُسَامرة

ولُعبة المناظرة

وفور أن يغادرَ الجميعُ للرحيلْ

وتنتهى المحاورة

* * *

أما زلتَ تتقن فَنَّ النفاقْ ؟!

أما زلتَ تتقن فنَّ النفاقْ ؟!

أما زلتَ ترسمُ بستان وردٍ

على كل وَغْدٍ

يخون الرفاقْ ؟!

أما زالَ قولُك عن كل باغٍ:

جميلٌ

عظيمٌ

شهيٌّ المذَاقْ ؟!

* * *

أما زلتَ عبدَ المنافعْ ...

فى كل يوم تسبِّح باسمِ الأميرْ

وباسم الدراهمِ عند الغنىّ الحَقيرْ

تُقَبِّلُ فوقَ الرؤوسْ

وتَنظرُ بالعين تحتَ الجيوبْ ؟!

أما زلتَ عبدا لكلّ صفيق

تَعَالَى على الناس وقت الخُطوبْ ؟!

أما زلتَ تلعقُ نعلَ الوزير الكبيرِ الكَذوبْ ؟!

* * *

أما زلتَ تلعنُ ذاكَ الفقيرَ ...

الذى أنهكتهُ صنوفُ الخَواءْ ؟!

فباعَ الأَسِرّة ...

باعَ الغِطاءَ الوثيرَ...

الذى يجلب الدفء عند الشتاءْ

وباعَ الحذاءْ...

لكى يشترى عزّة النفس يوماً

بدون الخضوعْ

ودون الركوعْ

وَدُونَ افتراشِ الكرامة فى السوق

عند الجموعْ

فَعَاش كريما برغم العناءْ !

***   *   ***

أما زلت تُبْلِغُ عن كلِّ خِلٍ تنفّس يوماً

بُعَيْدَ المساءْ

وخِلٍ يقولُ الحقيقة دُون افتراءْ

وآخر كان يصلِّى صلاة الجنازة

فى مسجد الشّهداءْ

***   *   ***

أما زلت تنكر أنّ القبور بها علية القوم

يفترشون الترابْ

وأن الأمير القديم طواهُ العفَنْ

فماذا تقول إذا ما دهاك الترابْ

وحين تُسَاقُ إلى الحشر يوم الحسابْ

وحين يُنَادَى على الظالمين

الذين استباحُوا البلادْ

وراحوا يدسّون فيها الفسادْ

وراحوا يصبّون فوق رؤوس المساكين

مُرّ العذابْ

أما زلت أعمى

تسير بدرب الظلام

برغم البصر

ورغم اتساع العيون وبعد النظر

أخى ، كيف ترقد فى الليل

حين يطل عليك الظلام

وحين تقضُّ منامَك صورةُ تلك الفتاة

على المقصلة

وصورةُ أمّ الشهيدِ الذى قد قتلتَ ...

بسكين غدرك عند المساء

بلا مسألة

أليس بصدرك شيئ يسمى الضمير

تعود إليه بُعَيْد الجريمة

كى تسأله

أما زلت أنت كما أنت ؟!

رغم انكشاف الحقيقة للعالمين

أما زلت ترضع من ثدى هذا البلاء اللعين؟!

***   *   ***

الدموع لم تجف بعد

ما زلت أُجفِّفُ دمعَ الأمسِ على طِفلٍ ..

قتلته أيادى الغدر ببورما !!

قطَّعهُ البوذيون أمام عيونِ الأمِ الثكلى

دون حَياءْ

وفتاة مزَّقَها الهندوسُ بكشميرْ

حين أَبَتْ أن تُذعِنَ للأمرِ الفاجر

من شيطان الهند

وسكير المعبد

والسفهاءْ

ما زلت أجففُ دمعَ الأمس البائسِ
وأنا أنظر للتلفاز المصبوغ بلون دماء
لفتاة قُتلتْ ظهرَ اليوم ..
مزَّقَها الوثنيون ببغداد
وأخرى فى الأنبارْ
وثالثة فى سُوريَّة
والأخبار الواردة تؤكد أن القتلَ الدائرَ مُسْتَعِرٌ
ودماءُ القتلى تصنعُ نهرا يجرف عجز العرب
وضعف الأمة
والأوغادْ
وظللت أجفف دمعا فاض كما الأنهار
كدمِ الأطفال بغزة وفلسطين

وإذا بصديقى القادم يلهث بالأخبار :

ـ اليوم فلسطينْ !

ـ اليوم فلسطين ؟

ـ اليوم فلسطين !!

اليوم سيوف يهوذا تخرق جسد القدس وغزة ..

بفلسطينْ !!

ودم الأطفال يراق بغزة بين الحينِ ..

وبين الحينْ

قد زاد صديقى الجرح الغائر ألمَا

فتركت دموعى تنزف بعد الدمع دَمَا

❋ ❋ ❋

قولى كيف تشائين

مهلا يا سيدتى مهلا ...

بعض رجاءٍ

قولى قولا يَتَقَبَّلُه الناس بِزَمنِى

ويمرُّ كما يمضى الكرمَاءْ

قولى كذباً ... صدقاً

قولى مدحاً ... ذمّاً

قولى غضبا وهجاءْ

قولى كيف تشائين ..

ولكن من غير اسْتِهْزَاءْ

قولى إنَّ النارَ ثلوجٌ لا تحرقُ جسدَ الأشياءْ
قولى إنَّ الليلَ نَهارٌ تسطعُ فيه الشَّمسُ
ويُبصرُ فيه الناسُ
وفيه حَرورٌ يحرق جِلْدَ العابر فى الصّحْرَاءْ
قولِى إنَّ النائم يبصرُ !
والمحزونَ سعيدٌ بالحزنِ
وقولى إنَّ كتابَ التاريخِ...
يَقُصّ حكاياتِ المستقبلِ للأحفادِ وللأبناءْ
قولى كيف تشائين ...
ولكنْ من دونِ الأسماءْ
فأنا صِرْتُ أُكَذِّبُ نفسى
حين تمرُّ الأسماءُ أمامَ العين ...

فأبصرُ ذاك الخِلّ مع الأعْداءْ

وأنا صِرْتُ أُكَذِّبُ نفسى

حين تصير العاهرة الشقراء ملاذ الحكمة والحكماءْ

وتصير وبعد خيانة زوج الغفلة...

رمزَ العفَّة للنبلاءْ

قولى أنَّى شئتِ يا سيدتى

ولكن من دون الأسماءْ

هل يعقل يا سيدتى أن فلانا وفلانا وفلانا ...

كانوا فى صفِّ الخونة والأعْداءْ ؟!

هل يعقلُ يا سيدتى أنَّ فلانا ...

ذاك الرجلُ الطَيِّبُ طبعا

كان يَغشُ كثيرا فى الميزانَ

يبدِّل فى أصْلِ الأشياءْ

هل يعقلُ أنَّ فلانا هذا يسرقْ ؟!

وفلانا ذاك المعروف بتقواه يدلّسْ ؟!

وفلان هذا ـ حسب المظهر ..

كان مِثَالا للأمناءْ !!

هل يعقل أنَّ فلانا كان يَقُصُّ علينا الخيرَ صباحا

ويُدبِّر وسط الليل شرُورا للضُّعفاءْ ؟!

هل يعقلُ يا سيدتى أنَّ فلانا ذاك القائلُ :

إنَّ الصدقَ نجاةُ العالم ...

إنَّ الحق ملاذُ الناس ...

و إنَّ الدينَ أساسُ الحكمِ

كان يزور الحانة ليلا

ويبيعِ الخمر لبعض الصحبة والعُملاء ؟!

هل يعقل أنَّ فلانا هذا كان يتاجر بالدِّين وبالكلمة

أو يتخذ الدين ستارا للإخفاء ؟!

هل يعقل أنَّ فلانا ...

ذاك المشهور لكل الدنيا..

والمعروف برب الحكمة !!.

كان يغشُ العلمَ

ويسرق أعمال النجباء

وأن الرجل كما التمثال الأجوف

قد صَنَّعهُ ، وقت الغفلة ، بعض السفلةِ والجهلاءْ

يا سيدتى إنَّ العقلَ تهرأ من أقوالك

وحكاياتُك صارتْ عندى مَحضَ هُراءْ

أى كلام ذاك القول الصادر عنك ...

وأىّ بلاء ؟!

ألهذا الحدّ يكون خداعِ الناس صَباح مَساءْ ؟!

هل صارَ العالَم كذبا وخداعا ورياءْ ؟!

هل بات العالمُ منذ الأمس مريضاً

ومصابا بعظيم الداءْ ؟!

فدعينى أُغمضُ عَينِى

دعينى أغلقُ عقلى حتى يحتَمل الأشياءْ !

❋ ❋ ❋

حين يعود الشتاء

فى ليله السرمدى الطويل....

يعود الشتاء

ويعلن عن بدء فصل الحياة

وفصل الموات

وان التدثر أصبح فرضا

يؤديه كل للعباد

وينتفض السيسبان الكبير

الذى غلف البيت

يلقى بأوراقه اليابسات

فى ليله السرمدى الطويل

تداعت علىّ القصائد

ألقت علىّ حبال الغواية

حتى استدارت يمينى

تسجل بعض الخواطر والذكريات

طفلٌ

ولعبةُ طينٍ

وأوراقُ عشق قديمة

وبعض الفتاتْ

وبعض من الدفء يسكن بين الضلوعْ

وبعض الشموع التى أوقدتها أكف العذارى

على صفحة المستحيل

وليل الأساطير

حين تدغدغ روحى البريئة أسمارُ أمى

وبعض من الأغنيات

وعاد رفيقى

يفتش فى غابة الليل

عن ماض وآت

* * *

السكون الذى كان يحرس البيت

فى ظلمة الليل

ولى... ومات

حين راحت تطوف علينا الليالى

وأطيافها الحالمات

حين عادت إلينا الحياة الحياة

* * *

وقالت سميّة

وقالت سميّة عند المَسَاءِ

وقد أرهقتها صُنوفُ التَّعَبْ

وأرَّقها الحُزنُ حتى استشاطَتْ

وزادَ عليها جموحُ الغَضَبْ

أَبِى :هلْ نعودُ إلى دَارِنا ؟!!

لماذا طُرِدْنَا ؟

لماذا الهَرَبْ ؟

لماذا نَفِرّ إلى ذا الفضاءِ

ونَخْفَى تُحَيْتَ جذوعِ الحَطَبْ

لماذا يُقَاتِلُنا الناسُ دوماً

وماذا فعلنا ؟

أَتَدْرى السبَبْ ؟

براميلُ موتٍ تُهالُ علينا

كأنَّا قَتَلْنا لهم ألفَ أَبْ !!

وجوعٌ يُحَاصِرنا فى الفيافى

أليس لشعبىَ حِسٌ وقَلبْ ؟!

ولِمَ أَخَذَ الموتُ كُلَّ الصِّغَارِ

بوقتِ العشيَّةِ عند اللَّعِبْ ؟!

ألا من رشيدٍ يردُّ العقولَ

لمَنْ غَابَ عنه الحَيَا والأدَبْ

أتفنى البلاد ومن أجلِ شخصٍ

يريد البقاءَ ونيلَ الرُّتَبْ

فهل مَاتَ كلُّ الشعورِ لديهمْ

وهل مَاتَ قلبُ جميعِ العَرَبْ

لماذا ... لماذا ؟!

أَجبْنِي بِرَبِى ...

فإنِّى كرهتُ حياة الكُرَبْ

أبِى : قد هَرِمْنا بعمرِ الطفولة

ما عادَ يُجدى لدينا الكَذبْ !!

فَمَا سَافَرتْ أُمُّنَا منذ شهرٍ...

ولكنْ طواها أزيز اللَّهَبْ !!

وما كان عمرو أخى فى العراق ..

ولكنَّ عمرو طوتْه التُّربْ !

فقلت وقد أنهك الدمعُ عينى

وصارعنى الحُزنُ حتى غَلَبْ

وقد أدركتنى سِهَامُ المنايا..

وموتُ الأمانِى ، وليلُ العَطَبْ:

فَتاتِى الحبيبةُ ، مَهلاً ، رويداً

لنا حيثُ كنّا إلهٌ وَرَبْ

وظُلمُ العبادِ سيفنَى قريباً

ويجمعُنا بيتُنا المُسْتَلَبْ.

* * *

حلمٌ جديدْ

ووقفت أنظر للمسافات البعيدة

للموانع والسدودْ

فهناك حلم العمر يشرق في جبين الدهر

يخطر من بعيد

أمل يراود مقلتيّ

وخافقي

وكأنه حلمٌ جديدْ

لكن هذا البعد يقهرني

ويرديني بأشرعة الوعود

مازال يقبع فى شرايين الأمانى

بلا حدود

ما زال يذبح حلميَ الأبديّ

من الوريدِ إلى الوريدْ

❋ ❋ ❋

أغنية الموت المقدسة

الموتُ فى بلادنا عجيبْ !!

تراه كل لحظةٍ هناك أو هنا

يُصارِعُ الحياة من جديدْ

يُقارِعُ الوجود كل ليلةٍ

بإمرةِ القدرْ

فيقطفُ الزهورَ والورودَ والشجرْ

ويقطفُ البشرْ

لتبدأ الحكاية المقدسة

بطعمها المريرْ

وثوبها المحوكُ عند كاهن ضريرْ

تَراهُ فى الصباحِ والمساءْ

تَراهُ فى الفطورِ والغداءِ والعشاءْ

تَراهُ عند شاشة التلفاز من قريبْ

وطفلةٍ تعانقُ الشموسَ فى جمالها

وسِرّها الغريبْ

تَراهُ عند حافة الطريقْ

عند ساحة الفضاءْ

والقضاءِ والقدرْ

وحينما تَلوذُ للنعاس

فى وسادة الوَسَنْ

كأنَّه يلاحقُ المدينةَ التى تَضِجُّ بالوَهَنْ

فيختفى نَماؤها

ويختفى السَّكنْ !

وتنتحى الوسادة البيضاء ....كالكفَنْ

فَيستوى عزاؤها الحزينْ

وليلُها يموجُ بالبكاءِ والحنينْ

تراه فى الحكاية المقدسة

(إيزيس)

(أوزوريس)

أو فى (حورس) و (ستْ)

وعند (جرْ) و (جتْ)

و (دنْ) و (سمر ختْ)

هناك ينشب النزاع مخلبه

ويُرسم الصِّراعُ والصَّرَعْ

ويستفيضُ ذلك النزاع عند(زوسرٍ) و(رعْ)

و(خفرعٍ) و (منقرعْ)

و (كامن) و (كارع)

و (كاوس) و(عنخ رِعْ)

و(حوتبٍ) وما صنع

والحربُ مستمرةٌ هناكَ ...لا تضعْ

تُرتبُ الأرقامَ للمواتِ فى جنازة الحروبْ

ليرتقى إلهها الكذوبْ

وتنحنى الشُّعوبْ

ويصرخ النشيدُ من جديدٍ عند بابها

وأغنياتِ ليلها تعانقُ الشحوبْ

وتنتهى طقوسُها بلوحةِ الغروبْ

أسطورة قديمة جديدة

يصوغها المحالْ

وينسج الخيالُ فوق ثوبها تميمةَ النضالْ

ولعنة الحكاية المقدسة

تطالُ كل قارئٍ وسامعٍ

وطائعٍ وضالٍ

ومن يريد أنْ يفك طلسما لها ...

يضيع فى الطريقْ

وينزوي بكهفها العميقْ

فلعنة الحكاية المقدسة..

بعيدة المنالْ

تصارعِ الخيالَ منذ مولدِ الزمنْ

تطاردُ الأشرارَ فى كراسة التأريخْ

ومهبط الربيع والخريف

مدينتى عجيبةٌ ...

وشأنها كشأن كلَّ عالمى العجيبْ!!

*   *   *